البُعد الجهاديّ

في حياة أمير المؤمنين

آية الله قاسم

البُعد الجهادي

الرجل الثاني في الإسلام بلا منازع، وانه لئن كان الإسلام عظيماً، وهو كذلك حقاً وصدقاً ويقيناً فأمير المؤمنين عليه السلام عظيم لأنه ما شذّ عن الإسلام، وما فارقه يوماً، والعظمة الإيمانية، والعبودية الصادقة، تتدفق بها كل الأبعاد لهذه الشخصية التي صاغها الإسلام صياغة محكمة، لتتحمل الأعباء الكبرى، التي كان يتحملها رسول الله(ص) في حياته من بعده، عدا ما كان من تنزل الوحي عليه(ص).

وهذه لمحة سريعة عن البعد الجهادي في حياة أمير المؤمنين عليه السلام ..

خطبة الجمعة 07 ديسمبر 2001

المبيت في فراش الرسول

بات في فراش رسول الله (ص) يوم خرج الرسول (ص) من مكة لينجو الإسلام بنجاته(ص) من يد الشرك. والمبيت في الفراش فداء واضح وتضحية صريحة، ومواجهة للموت في سبيل الله بلا أدنى شك.

هجرته مع الفواطم

وقاد صلوات الله وسلامه عليه ركب الفواطم فاطمة بنت رسول الله (ص)، فاطمة بنت حمزة، فاطمة بنت الزبير ابن عبد المطلب، وغيرهن، قاد هذا الركب نهاراً في حين تسلل عددٌ من المسلمين ليلاً إلى المدينة وكان معه في الركب أيمن وأبو واقد الليثي، ولكنه (ص) كان قائد الركب ورجله الأول، وبطله الكبير...

عليٌ في بدر وأحد

قتل نحواً من نصف قتلة المشركين في بدر، وفي أحد كان بيده لواء المهاجرين وكان النصر في البداية للمسلمين، ثم تغير الموقف كما تعرفون، حين تخلّى نفر - كان موقعهم الجبل، بأمر رسول الله (ص)- عمّا أمرهم به (ص)، فلم يبقَ مع النبي (ص) بعد تغير الموقف في صالح المشركين إلا علي (ع) وأبو دجانة وسهل ابن حنيف وكان (ص) أن قتل حملة اللواء من المشركين واحداً بعد الآخر وهم تسعة فهلع العدو وفر.

في غزوة الأحزاب

كان التحدي كبيراً وصارخاً وفارضاً نفسه على ساحة المسلمين من عمرو ابن عبد ود العامري. لم يكن التحدي فارغاً دعائياً وانما كانت واقعيته كبيرة، وكان صناديد المسلمين، وكبار الصحابة، يتراجعون أمام ذلك التحدي ولم ينهض بعبء الرد عليه بكفاءة فائقة، وبصبر المجاهد المسلم المؤمن بربه، الطامع في رضوانه، إلا أمير المؤمنين (ع). بارزه فقتله، فجاءت الكلمة عن رسول الله(ص)

في كتب التاريخ وكتب الحديث بليغة قوية في حق علي عليه السلام. مثلاً الحاكم في مستدرك الصحيحين، يروي الرواية،عن رسول الله (ص) والتي تقول: (لمبارزة علي ابن أبي طالب (ع) لعمرو بن عبد ود، أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة) ورواه البغدادي في تاريخ بغداد. الموقف كان موقفاً خطيراً، يرتبط به مصير الإسلام والمسلمين، وكان هناك مفترق طرق أما أن تعلو كلمة الله، وأما أن يعلو صراخ الشيطان في الأرض، وكان شرف حسم المسألة في صالح الإسلام بتوفيق من الله على يد أمير المؤمنين (ع). الضربة التي تعدل عمل الثقلين أو عمل الأمة، إلى يوم القيامة، لا يمكن أن تنطلق من روح أخرى، غير روح الإيمان، أو أن تكون فيها شائبة لغير الإيمان، فترتفع بوزنها إلى هذا الحد، ضربة أمير المؤمنين (ع)، مبارزته لعمرو ابن عبد ود إنما عدلت عمل الأمة إلى يوم القيامة لجهتين: لأهميتها الكبرى في تلك اللحظة الحاسمة التي يتعرض فيها الإسلام للمحق، وما أسسته تلك الضربة من نصر يمتد به الإسلام إلى ما شاء الله، هذه جهة. لكن الأهم من تلك الجهة، هي أن القلب الذي كان وراء هذه الضربة، كان قلباً مخلصاً لله سبحانه وتعالى. الضربة اليدوية الشجاعة، هذه لا يجازي عليها الله سبحانه وتعالى. إنما يعبد الله بالقلوب وبالنيات. كان علي (ع) في الموقف الذي يبرز فيه الاعتزاز بالشجاعة، وبالعطاء، وكان سلام الله عليه خاليا من أي تعلق بالدنيا، من أي نظر إلى الذات، من أي ملاحظة للناس، كان نظره (ع) متجهاً منصباً على رضوان ربه، كان يعيش عبودية خالصة لله عز وجل، وبذلك ارتفع ميزان تلك الضربة إلى جنب أثرها الموضوعي الخارجي.

غـــزوة خيـبـــر

هذه الكلمة المنقولة عن رسول الله (ص) والتي تقول: (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرّاراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه) مصادرها تاريخية وحديثية. المهم هنا أيضاً ليس قتل مرحب فقط، وقتل مرحب شئ كبير عظيم، ودك الحصون حصون اليهود الأمر الذي تراجع عنه كبار الصحابة هو عظيم كذلك. إن كل من حمل اللواء، رجع غير فاتح، وأمير المؤمنين (ع) وحده هو الذي حمل اللواء ليرجع فاتحاً، لكن الأمر كل الأمر في هذه الكلمة من رسول الله (ص) وهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، (لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله)، القلب الذي يحب الله ورسوله، قلب كبير، قلب وعي، قلب طاهر، قلب صاف، قلب رباه الإيمان، وطهرت فيه ونقت الفطرة، وكبر وعيه واشتد، قلب له رؤية غير متزلزلة، قلب عفّ عن الدنيا

كلّها، قلب لم يرَ في الدنيا، لم يرَ في أي شئ جمالاً يغريه عن جمال الله، أو يزاحم فيه جمال الله عز وجل، القلب الذي يحب الله ورسوله، قلب خلا من حب الدنيا، كان عشقه، وكان ولهه وتعلقه بجمال الله سبحانه وتعالى. وراء هذا الحب قلب خاص، هو قلب الولي الصادق(ع). (ويحبه الله ورسوله)، عين الله تبارك وتعالى لا تقع إلا على جميل، ذكر الله يحتاج إلى قلب جميل، وحب الله للعبد يتوقف على أن يكون ذلك العبد قد كان لقلبه من ذكر الله ومن حب الله ما يجعله الطاهر، ما يجعله النقي الزكي، ما يجعله الجميل، وإنما تجمل القلوب، وانما تزهر القلوب، وانما تحيا القلوب بذكر الله، وبحب الله سبحانه وتعالى، فلما كان قلب علي (ع) ملؤه الحب لله، ملؤه الذكر لله سبحانه وتعالى، أحب الله ذلك القلب، أحب الله ذلك العبد، (يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه)، أمير المؤمنين(ع)، لم يرجع لحظة عن درب الإيمان، لا في لحظة الجهاد العام، ولا في لحظة الجهاد الخاص، مع الصديق والقريب في أي ساحة من الساحات، وفي أي ميدان من الميادين، سيرة علي (ع) لم تعرف التراجع عن خط الإيمان، ولا التذبذب إنما كان (ع) على الاستقامة (فاستقم) وكان (ع) في ما تقضي به عصمته من المستقيمين على الدرب دائما.

غـــزوة حنيـــن

فرّ المسلمون ولم يبق مع النبي (ص) غير علي (ع) والعباس وبعض بني هاشم، ثم عاد السلمون الفارون وكان النصر بثبات أمير المؤمنين (ع). فرّ المسلمون ومنهم كبار الصحابة، كما تعرفون، وكادت الهزيمة أن تتحقق، لكن ثبات أمير المؤمنين (ع) مع النفر القليل، مع رسول الله (ص) كان مدعاة للآخرين أن يرجعوا، أو لعدد منهم أن يرجع، فكان النصر.

اشترك في حروب رسول الله(ص) كلها

اشترك في حروب رسول الله (ص) كلها من غير تبوك التي كان أمره (ص) فيها بالبقاء في المدينة لأمر مهم، يضاف إلى ذلك الغزوات التي تولّى قيادتها بنفسه عليه السلام.

[الجهاد عند أمير المؤمنين]

والجهاد عند أمير المؤمنين (ع) ليس ضرباً من الهواية العسكرية، أو اندفاعة من الجرأة الهائلة المفصولة عن قيم الروح وقضاء العقل وسمو الغاية، فمن كلماته المنقولة في هذا الصدد (الجهادَ الجهادَ عباد الله ألا واني معسكر في يومي هذا فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج) الجهاد عند أمير المؤمنين رواح إلى الله، الجهاد ليس قتل عدو، المنظور ليس التشفي، ليس النصر، ليس أي شئ آخر. منظوره (ع) نصرة الله، نصرة كلمة الله في الأرض، وهذه الاندفاعة منه التي لا تلوي على شئ في طريق الجهاد، والتي لا تتراجع أمام أي خطر أو تحد من منطلق دافع واحد. ذلك أن هذا الجهاد رواح ورحلة روحية وقلبية وجدانية إلى الله. قلب علي (ع) في الجهاد، لا يشغله شئ مما يشغل ملايين القلوب في تلك اللحظات من أسباب الأرض، وأهداف الأرض، وحسابات الأرض. لا يشغل قلبه (ع) ألا أنه في رواح إلى الله، وفي رحلة إلى الله، فالجهاد الذي يستهوي ذلك القلب التقي والشخصية الثقيلة والعقل الجبّار، هو ما كان رواحاً لله، وعروجاً روحياً على طريق كماله، وباباً من أبواب جنته، وهو القائل(ع) أما بعد .. (فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة). هذه قيمة الجهاد عند أمير المؤمنين(ع): كونُه طريق إلى الجنة، باب من أبواب رضوان الله، لباس التقوى، فيه تركيز للتقوى، فيه عروج إلى الله، درع حصينة تحمي من الشيطان، وتحمي الأمة، جنة وثيقة من دخلها لم تهجم عليه وساوس الشيطان. من دخلها لله سبحانه وتعالى، لم تهجم عليه هواجس الشيطان.

[السياسة عند أمير المؤمنين]

أما السياسة عند أمير المؤمنين (ع) فهي فن وخبرة وذكاء وفطنة، لكن بلا غدر ونفعية وتلاعب بالقيم، وذبح للمقدسات (قد يرى الحوّل القلّب (البصير بتحويل الأمور وتقليبها) سياسي ماهر جدا يعرف المداخل والمخارج ويستطيع أن يفسّر الناحية الموضوعية ويبني عليها المواقف المناسبة ، يستطيع أن يفتح أبواباً للنصر من خلال تدبيراته السياسية بإذن الله، قد يرى الحوّل القلّب، وهو الحوّل القلّب (ع) والمدبر السياسي الكبير - يشير بالكلمة إلى نفسه ويواجه بها تهمة كونه غير سياسي أمام ما يغري السذج من خداع معاوية ومن مكره وتلاعبه

بالقيم - (قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه، فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها) النصر على مسافة قدمين منه، ليس بينه وبين النصر إلا أن يتعدى حاجزاً من حواجز النواهي والأوامر الإلهية. لو تعدا هذا الحاجز لتحقق النصر الكبير ولكنه لا يتعداه. (فيدعها رأي عين) الآن يرى النصر على مسافة قريبة جداً، يراه رأي عين، ويرى الباب مفتوحاً له تماما، ويغلق هذا الباب. لأنه لا يتجاوز حدّاً من حدود الله سبحانه. (فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين).

خطبة الجمعة 07 ديسمبر 2001

البُعد الجهادي
مركز المقاوم للثقافة والإعلام
almuqawim.net
almuqawim